الدين الإلهي الأكبري

أو

أزمة الاسلام في شبه القارة خلال القرن السادس عشر الميلادي

الأستاذ محمود أحمد غازي

اجتازت الامبراطورية الاسلامية في شبه القارة عدة أزمات فكرية وثقافية وسياسية واجتماعية خلال تاريخها الطويل الذي يمتد على ألف عام من الحكم الاسلامي الزاهر ــ ولا شك أن دراسة هذه الأزمات وتحليل أسبابها من أهم موضوعات التاريخ الاسلامي الهندي ، فان الاسلام في شبه القارة لم يزل في صراع دائم مع الهندوكية ، فكلاهما نظام مستقل شامل لجميع نواحي الدين والثقافة والحضارة ، ومن طبيعة كل واحد منهما أن يمتص الآخر ويستحوذ عليه استحواذا كاملا فنرى ان الاسلام والثقافة الاسلامية والحضارة الاسلامية تجاوزت جميع الثقافات والحضارات التي اعترضت طريقها أو استحوذت عليها، وكذا الحال في الهند ، فإن الأمم الكبيرة الفاتحة التي زحفت الى الهند وغزتها لم تلبث بعد استقرارها في الهند أن استسلمت أمام تأثير الهندوكية ونفوذها[1] ، فكان هذا الصراع التاريخي الطويل بين هاتين الحضارتين الغازيتين من طبيعة الحال ، وشهد التاريخ عدة مرات أزمات حضارية أو ثقافية أو فكرية أو سياسية نتجت من هذا الصراع

---

(١) راجع للبسط في هذا الموضوع ، الباب الاول من كتابي غير المطبوع : تاريخ الحركة المجددية (باللغة العربية) ــ وهذه المقالة جزء من الباب الثالث من هذا الكتاب .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

العنيف بين هاتين الثقافتين والحضارتين ، ونقدم في هذه المقالة لمحات عابرة على مظهر من مظاهر هذا الصراع الذي شهده التاريخ في أوائل القرن الحادي عشر الهجري ، وقد جاء الهجوم الهندوكي في هذه المرة في صورة بسيطة المظهر هائلة المحتوى خطرة النتيجة ، وهي نحلة جديدة ادّعت الجمع بين مزايا الاسلام والهندوكية بخاصة وجميع الاديان الأخرى بعامة والتخلي عن نقائصها كلها ، وسماها منتحلوها باسم الدين الالهي وتولى كِبْر هذا الأمر الامبراطور المغولي الشهير جلال الدين محمد الاكبر المتوفى عام ١٠١٤ هـ ١٦٠٥ م .

كانت فتنة الدين الالهي من أكبر الكوارث والنكبات التي واجهها الاسلام في القرن السادس عشر الميلادي ، وبما أنها كانت وليدة القريحة الاكبرية ونتيجة من نتائج نفسيته لا بد من إلقاء نظرة عابرة على شخصية الأكبر وعلى حياته الفكرية والثقافية ، ليسهل علينا تحليل الاسباب والدواعي التي أدت الى ظهور هذه النحلة الغريبة .

كان جلال الدين محمد الأكبر في بداية أمره شابا صالحا متدينا متحمسا لمذهب أهل السنة والجماعة شديد الغيرة على الاسلام وعلى تعاليمه الحنيفة ، وله في ذلك مواقف من الاعتزاز بالسنة وعلمائها أشار اليها الاستاذ محمد أسلم في كتابه[1] . كما كان يحترم الصوفية ويتجلى ذلك في اكثاره من زيارة قبورهم في سفراته ورحلاته .

ولما رزق بولده الذي خلفه في الحكم (وهو الأمير سليم الذي تولى الحكم باسم نور الدين محمد جهانكير) أبدى مشاعر سروره وابتهاجه بزيارة قبور جميع المشائخ والصوفية الكبار في دهلي وبلغ

(١) الدين الالهي الاكبري وخلفيته التاريخية (باللغة الاوردية) للبروفيسور محمد اسلم ، طبع لاهور ، ص ٣٠ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

حبه وإجلاله للصوفية ذروته وأوجه لما أمر ببناء عاصمة جديدة قرب نتح بور سكرى القرية التي فيها ضريح الشيخ الصوفي سليم الجشتي ، ولعل الشيخ سليم الجشتي هذا هو أكبر من تلقى احتراما وإجلالا من الامبراطور الشاب الذي كان يحبه حبا جما ، ولما حملت زوجته بابنه الامير سليم وقربت أيام وضع الحمل أمرها أن تذهب الى منزل الشيخ سليم وتضع الحمل هناك لتكون موقع بركته وتشريفه ؛ ولما جاءت بولد سماه أبوه الامبراطور سليماً باسم شيخه سليم الجشتي[1] . فمثل هذه العلاقات بالصوفية إن دلت على شيء فإنما تدل على حبه العميق للدين وأهل الدين .

والى جانب اعزازه وإجلاله للصوفية كان يحترم العلماء والفقهاء والمحدثين فنراه يقدم ابنه الامير سليم لما بلغ الخامسة من عمره الى المحدث الكبير مولانا ميركلان الهروي ليفتتح تعليمه وإقراءه كلمة بسم الله الرحمن الرحيم وفق التقاليد الاسلامية الهندية[2] ، ثم عهد الى العالم الجليل المحدث مولانا ميرك شاه ابن المحدث مير جمال الدين تعليم الأمير مبادىء الدين وتعاليم الاسلام وأن يربيه تربية دينية ، ولما أنهى الأمير سليم من تعليمه الابتدائي أمره أبوه أن يتلمذ على كبير علماء البلاط الشيخ المحدث عبد النبي ، ويقرأ عليه كتب الحديث وكتب الفقه النهائية . وتشاهد مع الأمير سليم أباه الامبراطور

(١) تزك جهانكيري للامبراطور نور الدين جهانكير ، انظر ذكر ولادته في بداية الكتاب .

(٢) من تقاليد المسلمين في شبه القارة منذ قديم أن يبدؤوا بتعليم اولادهم وبناتهم في الرابعة او الخامسة من عمرهم ، ويتم ذلك في مأدبة يقيمونها ويدعون اليها اصدقاءهم واقاربهم ، ويحضر فيها احد نبار العلماء أو المشائخ أو كبار العائلة فيقرىء الطفل كلمة بسم الله الرحمن الرحيم ـ وتسمى هذه المناسبة مناسبة بسم الله ـ غازي ـ

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

يزور الشيخ عبد النبي في حلقة درسه أحيانا ويشترك مع ابنه في دروس الحديث .

وكان من نتيجة هذه المصاحبة مع العلماء الصلحاء أن ازداد الامبراطور جلال الدين الأكبر في صلاحه وتقواه ، وكان يهتم بتنفيذ أحكام الشريعة الغراء والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وكان أحيانا يذهب الى المساجد ويؤذن فيها الأذان بنفسه ويؤم الناس في صلواتهم ، وأحيانا نشاهده يكنس في المساجد يبتغي بذلك وجه الله وثواب الآخرة[1] وكان يهتم بأداء الصلوات مع الجماعة اهتماما بالغا ، وعيّن لهذا الغرض سبعة أئمة لأيام الأسبوع السبعة ، يؤم كل واحد منهم يوما خاصا . وكان المؤرخ الشهير الملا عبد القادر البدايوني أحد هؤلاء الأئمة السبعة ، وكان يؤم الصلوات كل يوم أربعاء[2] .

وبلغ حب الرسول صلى الله عليه وسلم من نفس الامبراطور مبلغا بعيداً : فتراه يخرج في جمع حاشد من العلماء والحكام والأمراء عاري الرأس حافي القدمين لمسافة تبلغ عشرة أميال حين سمع أن أحد الحجاج أتى من مكة المكرمة بحجر عليه نقش قدمي سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الشريفتين[3] ، ومهما تكن منزلة هذا النقش التاريخي فان قيام الامبراطور الشاب بهذا الاستقبال الرائع لشيء نسبه بعض الحجاج الى شخص الرسول صلى الله عليه وسلم يدل على عواطفه الدينية العميقة وعلى تحسسه الشديد لشخص الرسول عليه السلام .

ومع هذا كله فالحقيقة أن جلال الدين محمد الأكبر كان أميا لم يتعلم شيئا من القراءة والكتابة في صباه ولا يعرف شيئا من الدين بَلْه أن يكون عالما بفلسفة الاسلام وشريعته . وذلك لأنه ولد يوم كان

(١) مآثر الامراء ــ شاهنوازخان ــ مجلد ثان ، ص ٥٦١ .
(٢) منتخب التواريخ ــ عبد القادر البدأيوني ــ مجلد ثان، ص٢٢٧
(٣) المصدر نفسه .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

والده في منفاه يجول في صحارى السند في طلب معونات ومساعدات ليتسكن من القضاء على ندّه الأفغاني شيرشاد السوري الذي تربع على عرش الامبراطورية وأخرج العاهل المغولي نصير الدين همايون من شبه القارة[١] ، وتجول الصبي مع والده في السند وفي إيران وأفغانستان ولم يتيسر له تحصيل العلم وإنما كان همه وهم والده وحاشيتهما أن يحتفظوا برؤوسهم على مناكبهم ، وما إن رجع نصير الدين همايون الى الهند وتيسر له التربع على عرش المملكة حتى توفي الى رحمة الله قبل أن يوطد دعائم مملكته وكان ابنه جلال الدين إذ ذاك صبيا لم يتجاوز عمره اثني عشر عاما ، فاعتلى العرش وهو ابن اثنتي عشرة سنة، ولكنه مع ذلك كان ذكيا فطينا يتمتع بعقل أخاذ وذكاء وقاد .

وقد سبق[٢] أن قيام الدولة المغولية تزامن مع ظهور الحركات الاحيائية الهندوكية التي كانت تهدف الى إقامة امبراطورية هندوكية موحدة في الهند ، ومع أن بابر وابنه همايون والاباطرة السوريين عملوا الكثير والكثير للقضاء على هذه الحركات التي كان هدفها الاول الواضح هو الاطاحة بالحكم الاسلامي ، بل بالكيان الاسلامي في شبه القارة، غير أنهم لم يقدروا على القضاء عليه قضاء باتا . فلما تولى جلال الدين أكبر الحكم ــ ولنذكر أنه كان إذ ذاك ابن اثنتي عشرة سنة ــ كان من الضرورات السياسية عنده أن يؤلف سكان البلاد ويوحد الشعوب لتتقوى بذلك دولته وترسخ أسس حكمه ، فبدأ في تقريب الهنادكة والشيعة إليه ، حتى أصهر الى كثير من الامراء الهندوكيين ، وأرسى

(١) ليرجع القارىء العربي الكريم للتفصيل في هذا الموضوع الى كتاب : تاريخ المسلمين في الهند ، للدكتور أحمد محمد الساداتي ، طبع القاهرة ، الجزء الثاني ، ص ٧٢ ــ ١٠٢ والى البابين الاول والثاني من كتاب غير مطبوع للمؤلف : تاريخ الحركة التجددية .

(٢) محمد أحمد غازي ، المصدر نفسه ، الباب الثاني .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

دعائم إمبراطوريته على مجاملة جميع الطبقات الشعبية من الهندوس والشيعة وغيرهم ، فقرب كل واحد من هذه الطبقات الى نفسه وأذن لهم أن يتدخلوا في شؤون الدولة والحكم تدخلا كاملا ، فكان من طبيعة الحال أن تؤثر هذه الطبقات في تكوين شخصية الامبراطور الشاب الأمي وتشكيل آرائه تأثيرا كبيرا وعميقا .

وأدى هذا الدافع الى التفكير في محاولة ابتداع مذهب جديد يجمع بين طياته جميع المذاهب والأديان والنحل الهندية وتذوب فيه جميع العقائد والنظريات ، ليمكن بذلك الحصول على وحدة حقيقية في بلد متحد تحت ملك واحد في ظل نظام واحد متماسك ، وليمكن القضاء نهائيا على جميع الامكانات لظهور أية حركة معادية للحكومة على أساس الدين أو النحلة .

والجدير بالذكر أن هذا التفكير في ابتداع مذهب جديد لم يكن في أول الأمر شيئا مخططا مرسوما ، وإنما كانت بادىء ذي بدء فكرة ترد الى ذهن الامبراطور أحيانا ، ولكن التطورات بعد ذلك رسخت هذه الفكرة في ذهن الامبراطور وبدأ يفكر جديّا في انتحال هذه النحلة ، وقبل أن نخوض في تفاصيل هذه النحلة يجب أن نلقي نظرة عابرة على التطورات والعوامل التي أدت الى ظهور هذه الديانة فعلا بعد أن كانت مجرد فكرة وخيال في ذهن جلال الدين محمد الاكبر .

جريا على سياسة تقريب الهنادكة تزوج الامبراطور الشاب بعدد غير قليل من النساء الهندوكيات من أميرات العائلات الراجبوتية[1] ،

(١) راجبوت كلمة هندوكية معناها ذرية الامراء ، أو ابناء الأمراء ، وهم يعتقدون أنهم من أولاد إلهة الشمس والهة القمر — ويقطن الراجبوت منطقة راجبوتانا في الهند ، وكانوا اصحاب إمارات كبيرة في الهند ، ويتمتعون بقوة عسكرية هائلة ونفوذ سياسي كبير .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وأثر هؤلاء الأميرات تأثيرا عميقا في الحياة العائلية في القصر الامبراطوري ، واستغل الشيعة الايرانيون هذه الفرصة وتغلغلوا في النظام السياسي والجهاز الاداري ، وكانوا قد انتهزوا أثمن فرصة لهذا التغلغل لما اعتلى نصير الدين همايون والد الامبراطور اكبر وسلفه عرش دهلي بمساعدة الصفويين الشيعيين من ايران ، فلما تربع همايون على العرش بمعاونتهم بدأت قوافل الشيعة من العلماء والشعراء والادباء والانتهازيين ترد الهند تترى ، فكانوا بطبيعة الحال بطانة للامبراطور المغولي من دون المسلمين من أهل السنة والجماعة .

وملأ هؤلاء الناس ذهنه وعقله الناشىء وفكره غير الناضج بالتنكر للصحابة رضوان الله عليهم ولأئمة الاسلام الصالحين رحمهم الله أجمعين ، وأدى به هذا إلى التنكر للاسلام نفسه[1] . وكان الى جانب هؤلاء كثير من علماء السوء الذين أفسدوا ذهنه وعقله لأغراضهم المادية وأهوائهم الفاسدة ، وكان بين هؤلاء العلماء الفاسدين المفسدين من تولى كِبْر التيار الالحادي ، وهو الملا مبارك الناكوري الذي كان من علماء الفلسفة والعقليات في ذلك العصر ، وكان الملا مبارك هذا يحفظ كثيرا من المتون القديمة في العلوم الفلسفية والعقلية ، وكان قد تلمذ في شبابه لأحد علماء الشيعة من شيراز ، وهو أبو الفضل الكازروني ، وقرأ عليه بعض غوامض كتاب الشفاء للفيلسوف الكبير الشيخ الرئيس أبي علي بن سينا وغيره من الكتب الفلسفية ، ولعل أبا الفضل هذا أثر في نفسية تلميذه تأثيرا عميقا فنراه بعد رجوعه الى الهند يسمي أحد أبنائه أبا الفضل ، ويبدو أنه سماه باسم استاذه هذا ، ويظهر من هذا تقديره واحترامه لهذا الفيلسوف الشيرازي الايراني ، ثم بدأ الملا

(١) انظر منتخب التواريخ ، عبد القادر البدايوني ، مجلد ثان ، ص ٣٠٨ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

مبارك في مطالعة كتب الصوفية ومال الى طريقة الاشراق التي أشاعها بين المسلمين الصوفي الشهير شهاب الدين السهروردي الذي قتل في سنة ٥٨٧ هـ بعد أن أفتى العلماء بكفره وزندقته ووجوب قتله[١] .

ويمكن تقدير ما كان يكنه الملا مبارك من حقده على الاسلام وإهماله للدين أنه قال للامبراطور أكبر ووزيره الهندوكي «بيربر» ذات مرة : قد تسربت تحريفات كثيرة الى أديانكم وكتبكم المقدسة ؛ ولكن ديننا ــ دين الاسلام ــ هو أكثر تحريفا من جميع الأديان ؛ فلا يمكن الاعتماد عليه والوثوق به[٢] .

وكان للملا مبارك ابنان ذكيان متضلعان من العلوم العربية والاسلامية والعقلية ؛ وكانا يخطوان خطو أبيهما حذو النعل بالنعل ؛ ويشيان تلوه في الشؤون النظرية والعقدية ؛ وقد بلغ أحدهما وهو «فيضي» من معرفة اللغة العربية أنه ألف تفسيرا للقرآن الكريم في اللغة العربية دون أن يستعمل فيه أي حرف منقوط ، فالكتاب من أوله الى آخره يحتوى على الحروف غير المنقوطة ، وسمى هذا التفسير

---

(١) راجع التفصيل عن حياة شهاب الدين السهروردي وآرائه وافكاره ومؤلفاته وتأثيره في الفكر الاسلامي :

١ ــ تاريخ الفكر الاسلامي ، للدكتور عمر فروخ ، طبع بيروت ١٩٦٢ ص ٤١٧ ــ ٤١٨ وما قبلهما للوقوف على خلفيته العقلية .
٢ ــ أصول الفلسفة الاشراقية عند شهاب الدين السهروردي للدكتور محمد علي ابو ريان ، طبع القاهرة ، ١٩٥٩ م
٣ ــ هياكل النور ، للسهروردي نفسه ــ تحقيق الدكتور محمد علي أبو ريان ــ طبع القاهرة .
٤ ــ تاريخ الفلسفة العربية « حنا الفاخوري وخليل الجر » المجلد الاول طبع بيروت ، دار المعارف ١٩٥٧ م ص ٣٠٣ ــ ٣٠٧ .

(٢) البدايوني : مصدر سابق ، ج ٢ ، ص ٣١٢ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

بسواطع الالهام[١] ، وثاني الأخوين وهو أبو الفضل كان من كبار الكاتبين والمؤرخين ، وكان هذان الأخوان في مقدمة المستشارين للامبراطور جلال الدين الأكبر ، ولهما حصة الأسد في افساده .

فبعد أن تيقنوا أن الامبراطور تأثر بهؤلاء المفسدين بدؤوا يحتقرون في حضرته علماء الاسلام ومجتهدي الأمة وخاصة أئمة أهل السنة والجماعة ويستهزئون بهم ويسخرون من علماء البلاط وخاصة المحدث المغولي الشيخ عبد النبي الكنكوهي ، وذلك لأنهم كانوا يعلمون أن احتقار علماء الاسلام والاستهزاء بالدين وأئمة الدين هو الذي يكون عادة أول مرحلة من مراحل الموجات الالحادية وطغيان الكفر والزندقة ، ثم تليها مراحل أخرى ، وكان أبو الفضل يفتخر بنبذ علماء الاسلام الموجودين في الهند في عصره بالألقاب ، فسمى أحدهم حذّاء والآخر إسكافا والثالث جزارا وهلم جرا[٢] .

قلنا إن الامبراطور جلال الدين الأكبر كان أميا لم ينل تعليما متناسقا ولم يدرس دراسة شاملة منظمة ، ولكنه كان يرغب في التزود بمزيد من العلوم والمعارف ، فأمر أن تقرأ عليه الكتب الفلسفية وكتب الديانات الأخرى ، وفاز بذلك في جمع معلومات متناثرة لا تجدي شيئا في العلم ومعالجة القضايا بطرق علمية ، ثم أمر ببناء مركز خاص لهذا الغرض وسماه عبادت خان أي « بيت العبادة » ينعقد فيه كل يوم مجلس للمناقشة والبحث في شؤون الدين وقضايا الفلسفة وأسرار التصوف ، وكان الامبراطور في بداية الأمر يكتفي بالاستماع الى

---

(١) ظهرت لهذا الكتاب طبعة وحيدة على حد المعلومات التي توفرت لدي ، وهي في لكناؤ عام ١٤٠٦ هـ الموافق ١٨٨٩ م — ولم أر أحداً يقرأ هذا الكتاب أو يستفيد منه ، لأن القبول يأتي من عند الله حسب إخلاص المؤلف .

(٢) منتخب التواريخ للبدايوني ، مجلد ثان ، ص ٢٠٠ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

المناقشات والبحوث ؛ وكان يجتمع في ذلك المجلس أبناء جميع المذاهب والديانات من الهندوكية والبوذية والمجوسية والمسيحية والاسلام وغيرها . وكان المشتركون في هذه المناقشات يسمون أنفسهم متنورين ؛ فبدأ هؤلاء المتنورون في إثارة الشبهات حول مبادىء الاسلام ومعتقداته الأساسية مثل النبوة والتكاليف الشرعية ومصالح الأحكام الدينية ومقاصد الشريعة وحشر الأجساد وغيرها من أسس الدين ، وسموا العبادات الاسلامية من الصلاة والصوم وكل ما يتعلق بباب الوحي والنبوات تقاليد وأمورا غير معقولة . وقالوا : إن مدار الدين عندنا على العقل لا على النقل . وهذه الاشياء لا يقبلها عقل ولا فكر .

وكل ما هو ضد أحكام الاسلام وفلسفته وشريعته وفكره من نظام أو مبدأ أو حكم من أحكام الديانات الأخرى او فكرة فلسفية كان عندهم كنص قاطع بل أجل منه وأكثر أهمية ، وأما ما كان من دين الاسلام فكان مردودا عند هؤلاء المتنورين ، وكانوا يقولون ، ساخرين من الدين ومن صحابة النبي صلى الله عليه وسلم : إن هذه التقاليد غير المعقولة وضعها صعاليك العرب . وأنكروا إمكان رؤية الباري جل وعلا التي تثبت بكثير من الروايات التي تبلغ حد التواتر[1] .

---

(١) منها قوله عليه السلام : إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر ؛ لا تضامون في رؤيته. أو كما قال عليه السلام. وقد رواه باختلاف اللفظ واتحاد المعنى كثير من المحدثين ، منهم البخاري في صحيحه ومسلم في صحيحه وابو داود في سننه والترمذي في جامعه وابن ماجه في سننه واحمد بن حنبل في مسنده ، ورؤية الباري تعالى وامكانها بعيون الراس مسألة من أهم مسائل علم الكلام عند المسلمين ، والكتب الكلامية حافلة بالمباحث والمناقشات في هذا الموضوع .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة
www.alukah.net

وأدى طغيان هؤلاء المتنورين الى إضلاله الامبراطور الجاهل ضلالا كبيرا ، فبدأ ينكر مبادىء الدين ويسخر من تعاليم الاسلام ونصوص الكتاب والسنة ، وروى المؤرخ الشهير عبد القادر البدايوني الذي كان يؤذن له أحيانا بالمثول أمام الامبراطور والحضور في (عبادتخانه) ـ كان يستمع هناك الى المناقشات والبحوث ـ أن الامبراطور أنكر يوما وقعة المعراج وقصة الاسراء ، ثم قام على إحدى رجليه وقال لايمكن لأحد أن يقوم الا أن تكون احدى رجليه على الأقل على الأرض . فكيف يمكن أن يتمكن بشر (يعني به رسول الله صلى الله عليه وسلم) من الذهاب الى كذا وكذا من المكان ، يعني السموات ويبقى فراشه ساخنا وحارا ؟[1] .

ثم إن الامبراطور شكل لجنة خاصة لهذا الغرض تحتوى على أربعين رجلا من أرباب الديانات المختلفة ليقوموا بدراسة عقلية في جميع المذاهب والديانات العالمية ، ولكن هذه اللجنة لم تشتغل إلا في إثارة شبهات متنوعة حول الاسلام والمسلمين والقرآن الكريم والسنة النبوية ، ولو أراد أحد من أعضاء اللجنة أن يجيب عن اية شبهة وجهت ضد الاسلام أبوا ذلك عليه ولم يؤذن له بالرد على الاعتراضات ضد الاسلام ، وأما من أراد ان يعترض على الاسلام أو يوقع شبهات حوله فلم يكن في اللجنة من يعترض سبيله ويلجم فاه ، كأن أعضاء اللجنة كانوا يتمتعون بحرية تامة للقول والعمل ضد الاسلام ، ولكن لو أراد أحد الدفاع عن الاسلام قيدته الأغلال .

ولم ينته الأمر الى هذا الحد القبيح ، بل تعدى الى إيجاد دين

---

(١) البدايوني : المصدر نفسه ، ص ٣١٧ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

جديد ضد دين رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسمي هذا الدين الجديد بالدين الالهي الأكبري، وبدأ هذا الدين الجديد بإعداد منشور كبير على يدي الملا مبارك الناكوري الذي عرفناه في الصفحات السالفة، وساعده في ذلك ابناه أبو الفضل وفيضي ، وجاء في هذا المنشور ما ملخصه أن العلماء[1] الذين احتشدوا في بلاد الهند من ممالك العرب والعجم والذين يتمتعون بنصيب كبير من العلوم والمعارف الاسلامية قد أفتوا بأن الملك العادل أقرب منزلة الى الله من عالم مجتهد ، وبما أن الامبراطور جلال الدين محمد الأكبر أعدل الملوك وأعلمهم وأكثرهم عقلا وحكمة فرأيه في المسائل والقضايا التي اختلفت فيها العلماء المجتهدون يكون رأيا صائبا نافعا للخلق ، فيجب على كل واحد (ممن : من البشر كلهم أو من أهل الهند فقط ؟) أن يؤمن به ويعمل طبقه[2] ، وأكرهت الطوائف الناكورية ومعها كل متملق ذليل في البلاط والحكومة جميع العلماء والقضاة والاساتذة أن يوقعوا على هذا المنشور الذليل ويصدقوا به، فكان العلماء بين مصدق وبين منكر، ولكن الاغلبية الساحقة للعلماء والقضاة كانت من الذين أنكروا وأبوا أن يوقعوا عليه ولقوا بدل إنكارهم من الاضطهاد والظلم ما لقوا ، وسيأتي ذكره مجملا في الصفحات الآتية .

وتلا ذلك جمع من علماء السوء يرفعون عقيرتهم في مدح الامبراطور العادل العالم العاقل ، وجعلوا يضعون الأحاديث

---

(١) لا ندري هل المراد من « العلماء » هنا أعضاء لجنة التحقيق والبحث في شؤون الديانات أم أعضاء (عبادت خانه)، أم هم علماء آخرون تولى كبرهم الملا مبارك الناكوري .

(٢) البدايوني ، المصدر نفسه .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

والرسائل والكتابات في تأييد دعاوى أكبر وأصحابه المتسلقين ، وزعم آخرون أن أكبر صاحب الزمان وهو المهدي الموعود الذي أخبر بقدومه الرسول صلى الله عليه وسلم ، واشترك في هذه المهمة علماء من الشيعة والسنة وجعلوا بها الامبراطور الجاهل يزعم أن دين الاسلام الذي جاء به سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم قد انتهى أجله بعد مضي ألف عام على وفاته عليه السلام ، والآن قد أصبح الجو خاليا من وجود دين إلهي فيجب سد هذا الفراغ بدين إلهي جديد لئلا يختل نظام الكون ولايفسد أمر الناس ولايصبحوا فوضى لا سراة لهم ولا دين . فالناس في حاجة شديدة الى هذا الدين الجديد ، ولا يسكن — كما زعموا — إنشاء دين يهيء للناس حوائجهم ويكمل مقاصدهم ويتمشى مع روح العصر وتطور العلم والعقل إلا على يدي الامبراطور العادل العالم العاقل الحكيم جلال الدين محمد الأكبر ، واشتهرت هذه النظرية بالنظرية الألفية ، أي نظرية مرور ألف عام على نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وانتهاء نبوته وشريعته وضرورة دين جديد وشريعة جديدة .

حينئذ بدأ الألفيون يكرهون الناس على أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن أكبر خليفة الله ، وقام الباحثون ، بتقديم أدلّة باطلة[1] وحجج فاسدة وأقاويل زائفة تفيد أن الامبراطور أكبر هو الشخصية العبقرية الفذة التي بعثت في هذا العصر لترفع الخلاف بين الديانات المختلفة من الاسلام والهندوكية وغيرها ، وجعل البراهمة يصيغون أبياتا وقصائد سنسكريتية نسبوها الى آبائهم وقدمائهم ، وكانت

(١) لعل ظاهرة المجامع العلمية وجماعات اهل العلم التي من واجبها تأييد أولى الأمراء وأصحاب الحكم في كل باطل وزندقة على المستوى العلمي ظاهرة ليست بجديدة ، بل هي ظاهرة قديمة قدم القرون الوسطى على الأقل وهي تتكرر بين الحين والحين .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

هذه الأبيات والقصائد تخبر أن امبراطورا كبيرا سوف يظهر في شبه القارة يحترم البراهمة ويحافظ على حرمة البقر ويحكم بين الناس بالعدل ، ثم كانوا يقدمون هـذه القصائد الى الامبراطور ليخادعوه وينالوا منه الأموال والوظائف ، وكان بين علماء السوء واحد يسمى الحاج إبراهيم الذي كان رئيس القضاةوالقائم بالشؤون الدينية في ولاية كجرات ، وكان هذا القاضي يقدم هدايا وتحفا مختلفة الى الامبراطور أو يبعث بها اليه من كجرات ، فذات مرة كانت بين هذه الهدايا كلمة ملفقة نسبها الى محيي الدين بن عربي وكتبها بنفسه بخط لا يؤنس ولا يقرأ ، وتفيد هذه الكلمة أن صاحب الزمان سوف يظهر عما قريب تكون لديه نسوة كثيرةويحلق لحيتهوتكون فيه كذا وكذا من الصفات، التي هي موجودة في أكبر ، وساهم في هذه الحملة التضليلية أحدالعلماء الذي جاء بشيء أغرب ، ذهب هذا الرجـل المسمى بمولانا خواجه شيرازي الى مكة المكرمة ورجع بكتاب ادّعى أنه حصل عليه مـن علماء بلدة الحرام وأشرافها ، وجاء في هذا الكتاب أن أجل الدنيـا سبعة آلاف سنة ، وقد انتهى ، وقد حان الآن وقت ظهور المهـدي الموعود ، وعلاوة على هذا فإنه ألف كتابا آخر بنفسه في هذا الموضوع وبسط فيه الأقاويل عن هذه الفكرة الغريبة وأتى لها بدلائل وحجج غريبة ، ونسب بعض علماء الشيعة بعض الروايات الموضوعة الى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه[1] .

وبدأ الدين الالهي بادىء ذي بدء بإلغاء الصلاة والصوم والحج وفرائض الاسلام الأخرى ، وساعد في ذلك جميع علماء السوء الذين

---

(١) هذه المعلومات كلها موجودة في منتخب التواريخ للبدايوني — والتقطناها من مجلة الفرقان ، العدد الخاص عن مسيرة الامام المجدد ، طبع لكناؤ ، ١٩٦٠ — ومن كتاب الدين الالهي الأكبر وخلفيته التاريخية للدكتور محمد أسلم .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

لهم دلائل وشواهد باطلة تحيكها أيديهم الظالمة وتبدعها قرائحهم الفاسدة ، فقالوا إن العقلاء والحكماء موجودون في جميع الأديان وكذلك أرباب الرياضات الروحية وأصحاب الكشف والكرامات وحوارق العادات يوجدون في جميع طوائف الأنام، والحق يوجد عندهم جميعا ، فكيف يجب حصره في دين وملة حديثي عهد بالظهور بالنسبة الى الأديان والملل الأخرى ولم تمض عليهما أكثر من ألف سنة ، وقالوا إن إثبات الحق في دين ونفيه عن آخر ترجيح بدون أي سبب مرجح[1].

ولم يكتف الامبراطور بهذا القدر من الضلال والطغيان ، بل أراد أن يستن بسنة الفراعنة والنماردة ويجعل نفسه إلها من دون الله وربا للناس من دون رب العالمين ، وأمر أتباع دينه ــ ولم يجاوز عدد المخلصين منهم ثلاثين عضوا على حد قول المؤرخين ــ أن يقول أحدهم للآخر إذا زاره : « الله أكبر » بدل الشعار الاسلامي المسنون «السلام عليكم» وكان على الآخر أن يجيبه بقوله «جل جلاله» بدل قوله «وعليكم السلام» وكانت كلمة «الله أكبر» عندهم ذات معنيين فعامة المسلمين كانوا إذ اسمعوهم يتبادلونها ، يفسرونها بظاهر معناها ، أما هم فكانوا يعنون بها أن الامبراطور أكبر هو الله ــ وكذا الجواب: جل جلاله ــ وكان هؤلاء الاكبريون يكتبون في بداية رسائلهم وخطاباتهم « الله اكبر » مكان بسم الله الرحمن الرحيم ، وأصدر الامبراطور مرسوما يأمر الناس أن يقعوا له ساجدين كلما مثلوا أمامه ، وبدأ علماء السوء يثبتون جواز هذه السجدة من الكتاب والسنة بدليل سجدة التحية والتكريم ، وقالوا إن مثل هذه السجدة أمام

---

(١) الدكتور محمد أسلم : المصدر نفسه .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الملوك وأولي الأمر ليست سجدة العبادة التي تكون خالصة لله الواحد الأحد الصمد . وإنما هي سجدة تحية وتكريم لا تعني إلا الاحترام والإجلال ، وجاء بهذه الأقاويل أحد الصوفية المسمى بتاج العارفين في مؤلف له في هذا الموضوع خاصة ، وتاج العارفين هذا هو شارح كتاب نزهة الأرواح الذي هو كتاب مشهور في التصوف ، هذا من جانب ، ومن جانب آخر منع الامبراطور منعا باتا أن يؤدي أحد الصلاة في القصر علنا ، ولو اجترأ أحد على ذلك منعه الامبراطور ، حتى حدث ذات مرة أنه أراد أحد المسلمين المخلصين أن يصلي في البلاط فمنعه الامبراطور وزجره على ذلك وحال دونه ودون الصلاة جسديا[1] .

ولتوطيد نظرية تساوي الأديان استوردوا بعض المبشرين المسيحيين الذين قاموا قبل كل شيء بنقل الكتاب المقدس الى اللغات المحلية تحت إشراف الطاغية الأكبري أبي الفضل ، وأدى ذلك الاستيراد والدعاية الحكومية ، بطبيعة الحال ، الى كثرة تقلب الفرنج في البلاد وقدومهم وايابهم في أعداد كبيرة ، واشتد تأثيرهم في عقول من لقيهم وتلمذ عليهم الامبراطور وتعلم منهم شيئا من العقائد العقلية ، حتى بدأ ضرب الناقوس في البلاد وبدأ إظهار صور الثالوث المسيحي المقدس وتماثيله في شبه القارة ، وأصبح من الوظيفة الامبراطورية أن يشتغل الناس باللهو واللعب ويترددوا الى دور الطرب ، أفلا يمكن لنا أن نقول إن بواكير عهد الاستعمار المسيحي الاوربي في شبه القارة ظهرت على يدي الامبراطور « العادل العالم العاقل الحكيم » جلال

---

(١) مجلة الفرقان ، العدد الخاص عن الامام المجدد ، طبع لكناؤ ، ١٩٦٠ ، مقالة العلامة الكيلاني .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الدين محمد الاكبر ؟[١]

وذلك الى جانب جمع من العلماء المجوسيين الذين جاؤوا من إيران وغيرها من البلاد ، وأدخلوا كثيرا من التقاليد المجوسية في القصر الامبراطوري ، ولارضاء علماء المجوس أمر أبو الفضل بإشعال نار في القصر وأن تبقى مشتعلة طول الليل والنهار ، وكان أبو الفضل يقول إن النار مظهر من مظاهر الله تعالى وآية كبرى من آياته ونور ساطع من أنواره ، ثم إنهم أبلغوا الامبراطور من تقديس النار وإجلالها منزلة التأليه والعبادة ، فكان كلما شعلت نار أو ضاء نور مصباح قام من مجلسه احتراما وتبجيلا لها ، وكان يعبد الشمس أربع مرات في النهار والليل ، في الصباح والمساء ووقت نصف النهار وبعد مضي نصف الليل ، وكان يتلو كل يوم واحدا وألف اسم من أسماء الشمس كل يوم في وقت الظهيرة متوجها الى الشمس مع حضور القلب ، وأمر أتباعه أن يقولوا : « جلت قدرتها » كلما ذكر اسم الشمس عليهم أو سميت أمامهم ، وكان يقول إن الشمس هي النير الأعظم وهي وهاب العطايا لجميع الكون ، ولا شك أن هذا كله لم يكن إلا من تأثير المجوس وعبدة الشمس من الفارسيين الذي اتخذهم (أكبر) بطانة مع أبي الفضل وأعوانه من دون المؤمنين .

وآمن اكبر واتباعه الألفيون إيمانا راسخا بعقيدة التناسخ ــ تناسخ الأرواح من جسد الى آخر ــ وكان يدعو الناس إليها ويأمر حكامه وولاة أمره وموظفيه للايمان بهذه العقيدة الفاسدة غير العقلية،

---

(٢) ليراجع القارىء الكريم للبسط في هذا الموضوع : وتاريخ كمبردج للهند ، المجلد الخامس .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ولما زاره الأمير أعظم خان حاكم بنغال قال له الامبراطور : « انتهينا الى أدلة قاطعة تفيد بأن تناسخ الأرواح حق ؛ وإن كنت في شك من هذا الأمر فعليك بأبي الفضل فإنه سوف يقنعك ويطمئن قلبك على صدق هذه العقيدة وحقيقتها فاذهب أنت وتحدث مع أبي الفضل في هذه المسألة » .

وأحلت الخمر بحجة أنها تصلح البدن وتربيه تربية صالحة ؛ وأقيمت محلات خاصة للخمور والمسكرات تحت إشراف ومراقبة حكومية ؛ كما أحل الربا والميسر والقمار ؛ وأنشئت دار للمقامرة كما انشىء بنك رَبَوي يقرض الناس قروضا ربوية[1] ؛ وأحل الزنا وعمرت تحت إشراف الحكومة حارة خاصة للعاهرات سموها «شيطان پوره » أي حارة الشياطين ؛ وقالوا إنه من الأحسن أن تنحصر هذه العهارة والدعارة في حارة واحدة .

وبلغ حقد الامبراطور على رسول الله صلى الله عليه وسلم الى درجة أنه كان يثقل عليه أسماء أحمد ومحمد ومصطفى ، فلم يلبث أن بدل أسماء بعض ندمائه من محمد خان الى رحمت خان ، **وبدأ** المؤلفون والكتاب الذين تأثروا من الدين الالهي أو من نظرية تساوي الأديان أو الذين خافوا على أنفسهم وعلى أموالهم ـ بحذف اسم النبي الكريم صلى الله عليه وسلم من بداية كتبهم ورسائلهم ؛ وكانوا يكتفون بذكر التوحيد وذكر الألقاب الامبراطورية ، حتى قال بعض أتباع الدين الالهي « إن الملة الاسلامية كلها أمر غير معقول وشيء فارغ

---

(١) مجلة الفرقان ، ص ٧٠

شبكة الألوكة www.alukah.net
هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
الجمهورية العربية السورية مجمع اللغة العربية

وضعه صعاليك العرب الذين كانوا من المفسدين وقطاع الطريق »[١] ؛ وبدؤوا يتمثلون بقول الشاعر الايراني الشهير أبي القاسم الفردوسي الذي يبين عن حقد الايرانيين ضد العرب بقوله :

زشير شتر خوردن وسوسمار عرب رابجائي رسيد است كار

كه تخت كيان را كنند آرزو تفو بر تو اي چرخ كردان تفو[٢]

بسبب أكلهم لحم الضبع وشربهم لبن الابل انتهى الأمر بالعرب الى حد أنهم يأملون بعرش الكيانيين ؛ تبا لك وويلا أيها الفلك الدوار.

والى جانب ذلك كله عهدوا الى علماء الديانات الأخرى نقل كتبهم المقدسة الى اللغة الفارسية التي كانت لغة رسمية في البلاد والى اللغات المحلية الأخرى ؛ ومع أن نقل هذه الكتب الى لغة المسلمين ليس بأمر يقدح فيه بل يعتبر أمرا مستحسنا اذا كانت داعيته داعية علمية بحتة . ولكن الذي دعا أكبر وأنصاره الى نقل هذه الكتب الى الفارسية ثم نشرها بين المسلمين انما هو أملهم ببثّ جذور التشكيك والريبة في قلوب المسلمين وأذهانهم ؛ فقام أحدهم بترجمة الكتاب الهندوكي المقدس «مهابهارتا» وقام الآخر بترجمة أسفار العهدين القديم والجديد ؛ وأمر الامبراطور ابنه « مراد » أن يتلمذ على الآباء المسيحيين ويقرأ عليهم بعض دروس العهد المقدس لليمن والتبرك[٣] ؛ وألف بعض الملاحدة ممن

---

(١) البدايوني : المصدر نفسه ؛ ص ٣٠٧

(٢) كتاب الشاهنامة للفردوسي مليء بمثل هذه الابيات الحاقدة على العرب .

(٣) البدايوني ، المصدر السابق ، ص ٢٦٩

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

كان يسمى باسمٍ اسلاميٍّ بعض الرسائل والكتابات يقدح فيها ويسخر من العبـادات الاسلامية فكانت هذه الرسائل والكتابات موضع قبول ورضا من الحضرة الامبراطورية وصارت سببا ووسيلة لرقي المؤلف وتقدمه في نعم العيش وترف الحياة[١] ، وكان من دأب هؤلاء الطغاة الملحدين أن يدخلوا في هذا الدين الباطل كل ما رضي به الملك أو أعجبه من الأديان ما عدا دين المسلمين ، وكانوا يحترزون عن كل ما يخالف رضا الملك ويلتزمون اجتنابه ، ولم يمض على هذا الدين الالهي أكثر من خمس أو ست سنوات حتى فاز في القضاء على الاسلام ومحـو آثاره من البلاط الامبراطوري والقصر الامبراطوري بخاصة والاوساط الحكومية بعامة[٢] .

وكان على كل من أراد أن يدخـل في الدين الالهي رسميا أن يؤمن أولا بكلمة لا إله الا الله ، أكبر خليفة الله ، ثم يقر بما يلي :

« من كه فلان ابن فلان باشم بطوع ورغبت وشوق قلبي از دين اسلام مجازى وتقليدى كه از آباء وپدران ديده وشنيده ام إبراء وتبرا نمودم ومراتب اخلاص چركا نه كه ترك مال وجان وناموس ودين باشد قبولى كردم » .

« أنا ، فلان بن فلان ، بكل طوع وتمام رغبة وعميق شوق أعلن براءتي من هذا الاسلام المجازي التقليدي الذي رأيته وسمعته من الآباء، وها أنا ذا أدخل في الدين الالهي الامبراطوري الاكبري ،وقبلت المدارج الأربعة للاخلاص في هذا الدين التي هي عبارة عن ترك المـال

(١) المصدر السابق ، ص ٢٥١
(٢) المصدر السابق ، ص ٢٥٥

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وترك النفس وترك العرض وترك الدين »[١] .

وكان كل من يعتنق الدين الالهي يحصل على صورة للملك ، وتكون هذه الصورة علامة لاخلاصه للملك ومقدمة من أهم مقدمات الرشد والسعادة والرقي ، وكانوا يلفون هذه الصورة بغلاف مرصع بالجواهر واللآلىء ويضعونه فوق جباههم في عمائمهم ، وأباحوا الخمر إذا استعملت لتربية البدن وتقوية الجسد بشرط أن لا تكون فتنة وفسادا ، ولكن إذا أحدثت فتنة أو ضوضاء أو ضجة أو اسكرت سكرا فاحشا فلا تباح ، وفتح دكان للخمور تحت مراقبة الحكومة ، وكانت تشرف على هذا الدكان وتديرها امرأة كانت من عائلة الخمارين ، وعينت الأسعار من قبل الحكومة ، وكان الأمراء والوزراء والحكام حتى القضاة والمفتون يجتمعون في مهرجانات النوروز ويعاقرون الخمور أقداحا على أقداح ، وكان فيضى أخو أبي الفضل يقول : اشرب هذا الكأس باسم عيسى الفقهاء وجهلهم .

وكان حلق اللحى من أهم ميزات الدين الالهي ، ويبدو أن فكرة حلق اللحى بدأت بادىء ذي بدء تحت تأثير أزواج الامبراطور الهندوكيات ، ومن المعلوم أن الهندوس يحلقون اللحى منذ زمن قديم، وحلق اللحية سنة دينية عند الهنادكة ، فلمّا مال الملك الى التأثر بهذه الفكرة جاء المتعاملون بالسوء بأدلة عقلية ونقلية مضحكة ، فادعى أحدهم أن اللحية تروى من ماء الخصيتين وتتربى بهما ، ولذلك نرى أن اللحية لا تنبت للخصيان ، فما لها وللدين ؟ هكذا تساءل الالفيون

---

(١) راجع للتفاصيل : المسلمون في شبه قارة الهند وباكستان
The Muslim commuity of the Indo - Pakistan
طبع هاك ـ هولندة ـ ١٩٦٢ ـ ص ١٤٥ للدكتور اشتياق حسين قريش

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الاكبريون ، وجاء آخر بكتاب من كتب الفقة ، وقد جاء في هذا الكتاب أنه لا ينبغي حلق اللحية كما يفعله بعض عصاة العراق ، فغيروا العين بالقاف ووضعوا نقطة على الصاد وقرؤوه « كما يفعل بعض قضاة العراق »[١] ، ثم قالوا إذا جاز لقضاة العراق حلق اللحية بدون أي كراهية فلم لا يجوز لقضاة الهند وعلمائها أن يحلقوا لحاهم ، ووضع أحدهم حديثا ولم يخف ولم يتلكأ في نسبته الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال فيه إن ابنا لصحابي مر برسول الله صلى الله عليه وسلم محلقا لحيته . فقال عليه السلام — وفق هذا الاتهام القبيح — هكذا تكون صورة أهل الجنة[٢] .

هذه هي بعض التفاصيل عن الدين الباطل الذي اتخذته القوى الطاغية دينا لها وأرادت أن تجعله دينا للأمة الاسلامية في سائر شبه القارة ، والعلماء الذين رفعوا صوتهم ضد هذا الطغيان الالحادي عذبوا بأنواع مؤلمة من العذاب والعقاب ، وقتلوا وافنوا ونفوا في الأرض ، فكان بين من قتل رئيس القضاة وشيخ الاسلام مخدوم الملك الملا عبد الله الانصاري السلطانبوري[٣] والشيخ المحدث عبد النبي الكنكوهي[٤] والعالم الشيعي المتدين الملا محمد يزدى الذي كان قاضيا في جونفور

---

(١) من الجدير بالذكر أن المطابع لم تكن موجودة في شبه القارة في ذلك الحين وكانت الكتب كلها خطية — غ

(٢) البدايوني : مصدر سابق

(٣) راجع ترجمته في نزهة الخواطر ، مجلد رابع ، ص ٢٠٦—٢٠٨

(٤) راجع ترجمته في نزهة الخواطر ، مجلد رابع ، ص ٢١٩—٢٢٢

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

المركز العلمي والثقافي الشهير في العصر المغولي ، وكان بين العلماء الذين ردوا على هذه الخرافات الشيخ بدر الدين بن الشيخ سليم جشتي الذي كان محترما عند الامبراطور في شبابه ، ولكنه لما رأى هذه المؤامرات على الاسلام قطع جميع علاقاته مع الامبراطور واعتكف في منزله ، ولكن الحكومة لم تأذن له بذلك وبدأت اضطهاده وظلمه ، فلم ير الشيخ مفرا إلا الهجرة الى مركز الامن والسلام الذي كان مباركا وهدى للعالمين فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمنا ، فلم يلبث الشيخ بدر الدين أن أخذ زورقا صغيرا وغادر الى مكة المكرمة وتشرف بأداء فريضة الحج ، وانتقل هناك الى رحمة الله أثناء طوافه بالكعبة المشرفة .

ولما وصل نبأ الالحاد الأكبري الى بنغال وجونبور أدى ذلك الى اتساع نطاق الفتن وبعثت هذه الأنباء في نفوس الشعب المسلم استنكارا عاما ، ولم يلبث قاضي جونبور الشيعي الملا محمد يزدى أن أفتى بوجوب الحرب ضد السلطان لما أحدثه من بدع وإلحاد يزعزع بناء الاسلام وكيانه في شبه القارة ، وأثارت فتواه ثورة شعبية عنيفة قتل فيها عديد من كبار الموظفين ومنهم العلماء في جونبور ، ودعا بعض الثائرين الميرزا حكيم خان حاكم كابل للالتحاق بهم والنهوض معهم للقضاء على التيار الالحادي الأكبري ، فاستجاب لهم حكيم خان وخرج الى بنجاب ، في عام ١٥٨٣ م / ٩٩٠ هـ ، ولم يسع الامبراطور إلا أن أسرع لمناهضة الثورة بجحافله الكبيرة .

قد مر بنا أنه كان ممن قتل خلال هذه الموجات الاضطهادية العالمان البارزان الشيخ عبد الله السلطانبوري الانصاري والشيخ عبد

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

النبي الكنكوهي . وكان « أكبر » أجلاهما في أول الأمر الى مكة المكرمة في سنة ١٥٨٠ م أي حوالي بعد سنة من إعلان المنشور السالف الذكر ، فكانا يثيران الشعب المسلم ضد الحكومة الرامية الى القضاء على أهل السنة والجماعة قضاءاً باتاً فأصبحا خطرا يهدد كيان الحكومة ويهدد كل ما أراد اكبر وأعوانه من تأسيس الدين الالهي[١] ، ولما وصلا الى مكة المكرمة رحب بهما علماؤها وصلحاؤها ترحيبا حارا ، وجاء كثير من تلامذة العلامة ابن حجر المكي الهيتمي (المتوفى ٩٧٤ هـ)[٢] واصدقاؤه لاستقبال مخدوم الملك الشيخ عبد الله الأنصاري الذي كان بينه وبين العلامة الهيتمي صداقة متينة قديمة ، ولعل علماء مكة المكرمة لم يكونوا جاهلين لمؤلفات مخدوم الملك وجهوده العلمية . وأحاط هذان العالمان علماء مكة المكرمة علما بالطغيان الالحادي الذي سيطر على الهند واستولى على شبه القارة بأسرها على يدي أكبر وأعوانه في صورة الدين الالهي الاكبري[٣] .

وبعد إجلاء هذين الزعيمين من جماعة كبار العلماء من شبه القارة بدأت الحكومة وعلى رأسها جلال الدين محمد الاكبر وأعوانه اضطهاد العلماء والفقهاء والقضاة خاصة اضطهاد أهل السنة والجماعة عامة ، فعطلت الحكومة رواتب العلماء والفقهاء وصادرت أراضيهم وإقطاعاتهم ، وقامت بما قامت وفعلت ما استطاعت أن تفعل من ظلم وجور واضطهاد ، ولكنها بكل هذا لم تستطع أن تكره جماهير علماء

---

(١) الدكتور اشتياق حسين قريشي : العلماء في السياسة (Uelma in politics) طبع كراتشي ، ١٩٧٢ م ، ص ٦٥

(٢) راجع لترجمته الاعلام للزركلي ، المجلد الاول ، ص ٢٢٣

(٣) شاهنواز خان : مآثر الامراء ، مجلد ثان ، ص ٥٦٣

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

المسلمين على موافقة الحركة الالحادية التي كانت تدبرها في الحقيقة القوى الهندوكية وتحيكها القرائح الهندوكية والالحادية ، ولما رأت الحكومة فشل جهودها في إكراه العلماء والضغط عليهم غضبت غضبا شديدا ، وعزل الامبراطور جميع القضاة المسلمين وبدلهم بمن كانوا يدينون بدينه، وقتل كثيرا من العلماء خفية بمجرد أنهم كانوا لا يوافقون الامبراطور في معتقداته[١] .

ولما قامت في بنغال وكابل ثورة ضد الالحاد الاكبري في يناير ١٥٨١ م تحت زعامة الميرزا محمد حكيم وصلت أنباؤها الى مخدوم الملك وصدر الصدور الشيخ عبد النبي في مكة المكرمة ولعلها وصلت إليهما بصورة مبالغ فيها وبطريق غير موثوقة بها ، ولكنهما بادرا الى الرجوع الى الهند ليلعبا دورهما في إحياء نظام الاسلام في شبه القارة ، ولكنهما لما وصلا الى الهند كانت الأزمة متغيرة كل التغير وأصبحت الحال أسوأ مما كانت عليه وقت جلائهما ، فما لبث مخدوم الملك الشيخ عبد الله الأنصاري أن قتل مسموما ، وأما الشيخ عبد النبي فسجن أولا ثم قتل على أيدي جماعة من الهنادكة تحت قيادة الوزير الأكبري الهندوكي راجاتودرمل بتوجيه من الامبراطور نفسه ، وصودرت أموال كل واحد منهما ، وواجهت كلتا العائلتين أسوأ المظالم والاضطهاد والفتنة[٢] .

وجاء قتل هذين العالمين الكبيرين فاتحة سلسلة من الظلم والجور

---

(١) الدكتور اشتياق حسين ، المصدر نفسه ، ص ٦٧ — ٦٩
(٢) الدكتور اشتياق حسين قريش ، مصدر سابق ، ص ٦٨—٦٩

شبكة الألوكة www.alukah.net
هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
الجمهورية العربية السورية مجمع اللغة العربية

والاضطهاد التي واجهها العلماء المسلمون وتحملوها بكل صبر وثبات قدم واستقلال نفس، وكان من بين من قتل: الشيخ معز الملك والقاضي محمد يعقوب وغيرهم ، رحمهم الله كلهم أجمعين وشكر جهودهم وتقبل تضحياتهم .

ولنقف هنا لحظة ولنتساءل : ماذا كان الهدف الأصلي لهذه الجهود كلها ؟ وماذا كان المخططون يريدون نيله تحت ستار الدين الالهي ؟ والذي يراه كاتب هذه السطور هو أن الهدف الحقيقي من جميع هذه الجهود الهدامة والخرافات اللاغية لم يكن تأسيس دين جديٍّ ، بل كان الهدف هو الاستخفاف بالدين الاسلامي أولا ثم القضاء على الشريعة الاسلامية ومعالم الثقافة الاسلامية في شبه القارة وأخيرا محو العواطف الاسلامية من قلوب الجماهير المسلمة التي كانت لاتزال مؤمنة إيمانا كاملا بالدين الاسلامي والقرآن الكريم والسنة النبوية ، وكانوا يريدون أن تتسرب في قلوب الشعب المسلم أولا نظرية تساوي الأديان التي تقول إن جميع الأديان الموجودة في العالم من الهندوكية والبوذية والمسيحية واليهودية والاسلام وغير ذلك من الأديان تهدي الانسان الى هدف واحد ومقصد واحد ، ولا فرق في ذلك بين الأساليب والوسائل والسبل التي تختارها الأديان المختلفة للوصول الى هذا الهدف ، فكانت خطة المتآمرين نشر هذه الفكرة بين المسلمين أولا ثم مزج الدين الاسلامي مع الدين الهندوكي لينقرض الاسلام ويتلاشى من شبه القارة « لا قدر الله ذلك » ، فالدين الالهي الذي انشأوه على يدي الامبراطور المغولي الجاهل كان من أهم الخطوات في هذا الاتجاه .

وليس هذه المرة في صورة الدين الالهي فحسب ، بل قام الزعماء

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الهندوكيون بمثل هذه الجهود اكثر من مرة خلال التاريخ الاسلامي الطويل في شبه القارة ، وحاولوا مرارا أن يدخلوا الفكر الهندوكي في الدين والثقافة الاسلامية ، ليذوب الاسلام والمسلمون في البوتقة الهندوكية ولا يبقى للمسلمين شخصية مستقلة وهوية متميزة في شبه القارة ، وأخيرا حاول الزعيم الهندوكي الشهير موهن داس كرم شند غاندي أن يستميل المسلمين في شبه القارة ويظفر بهم في حركته القومية الوطنية المتحدة التي كان يريدها غاندي وأعوانه أن تضم المسلمين والهنادكة معا وتنطلق بهم الى ذلك الهدف القديم ، حتى اقترح بعض زعماء الهنادكة في بداية هذا القرن قائلا إن الهنادكة مستعدون لإنهاء جميع خلافاتهم مع المسلمين لو قطعوا صلاتهم مع خارج الهند (مع العالم الاسلامي طبعا ومع الحرمين الشريفين خاصة) وسموا أنفسهم الهنادكة المحمديون ــ ولكن الله تعالى خيب آمالهم مثل السابق ــ .

وللمؤرخين آراء مختلفة حول الحقيقة الواقعة عن نفسية أكبر وعما قام به من انتحال هذه النحلة الهدامة ، وتنشأ هنا عدة أسئلة : هل ادعى اكبر النبوة لنفسه ؟ أم دعوى النبوة تهمة اتهمه بها معارضوه ؟ أكان يريد القضاء على الاسلام قضاء باتا بعد أن كان في صباه وفي بداية شبابه رجلا متدينا ؟ أم كان هدفه الحقيقي هو كسب معاونة الهنادكة فقط ؟ وهل كان انحرافه وطغيانه على الاسلام ناشئا عن جهل فقط أو كان بشعور وعلم ؟ وما هو مدى انحرافه عن الاسلام من حيث إرادته هو ؟

ولكن كل هذه الاسئلة لسنا نحن بصدد الجواب عنها ، فإنها بحوث علمية بحتة ينبغي أن تكون موضوعا لبحث خاص مستقل عن

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الدين الالهي وعن تاريخ نفسية أكبر وتطور فكر هذا الامبراطور المغولي وعقله . وأما نحن فلا تهمنا هذه الأسئلة في البحث عن حركة الإمام المجدد وتاريخ جهاده[١] ، ولكن لا يسعنا إلا أن ننقل رأي عالم من علماء الغرب ؛ يقول المؤرخ الانكليزي « ونسنت سمث » في كتابه (أكبر ذلك المغولي الأعظم) عن الدين الالهي : « وكانت المخططة بأجمعها نتيجة لخيلاء وغرور مضحك ونمو هائل لحكومة الفرد المفرطة والاوتقراطية المسرفة ، ولم يكن الدين الالهي إلا تذكارا لحماقة أكبر دون عقله وحكمته »[٢] .

محمود أحمد غازي
باكستان ـ اسلام آباد

---

(١) قد أشرنا في بداية المقالة أن هذا البحث ملتقط من الباب الثالث من كتابي باللغة العربية : تاريخ الحركة المجددية ، وهذا الكتاب لم يطبع حتى الآن .

(٢) Vincent Smith : Akbar, the great Magul Znd ed . Delhi 1958

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net